الاسطورة وتمثيل المقدس

٢-١
ناجم المعموري

بابل والكتاب المقدس، حوار طويل جداً مع العالم الفرنسي المعروف جان بوتيرو، انجزته خلال مدة طويلة ايلين مونساكريه وترجمته إلى العربية روز مخلوف. يمتاز الكتاب باهمية بالغة ارتباطاً مع شخصية العالم بوتيرو وخبرته التاريخية وثقافته العالية في حضارات الشرق وديناته واشتغاله في حفريات عديدة في مناطق الشرق الادني، والكتاب مهم ايضاً لانه احتوى على مقدمة طويلة للاستاذ المفكر العفيف الاخضر، تكرست على الموضوعة الدينية التي اطلق عليها وصف الظاهرة وأعاد قراءة هذه الظاهرة من خلال العلاقة الثقافية والمعرفية بين المناهج والعلوم التي اهتمت بالدين، قبل علم النفس وعلم تاريخ الاديان المقارن، والانثربولوجيا والسوسيولوجيا، لكن الاستاذ الاخضر اهتم اكثر بالقراءة النفسية وتاريخ الاديان المقارن. ولان مقدمته ذات اهمية بالغة سأحاول تقديم قراءة وتعريف واضافة لها من اجل الاطلاع عليها. وقد اكد الاستاذ العفيف الاخضر ان الظاهرة الدينية معقدة بشكل كبير ولابد من الاستعانة بالعديد من المناهج من اجل مقاربتها وابداء الرأي فيها وحولها. ولذا ابتدأ معلم النفس الذي قدم اضاءات كبيرة في قراءة وتوصيف الدين وعناصره المكونة له وقد ساهمت توصلات كل من فرويد، يونغ، رانك، اريك فروم.. الخ في تعميق المعرفة الثقافية بالينابيع الثقافية الاولى التي كان لها دور في تشكلات الظاهرة الدينية.

واشار الاخضر إلى ان الرموز الدينية تحولت عبر العصور إلى وقائع اجتماعية اعادت تنظيم الحياة ومدركات الانسان لمحيطه وعالمه لانها تعبر عن امال وحاجات عميقة في بنية النفس الانسانية، ومن هنا نشأ المقدس الذي امتد عبر اصوله إلى ليل التاريخ، حيث شكلت هذه الظاهرة مكوناً مركزياً وعميقاً في وعي الفرد ولا وعي الجماعات البشرية مثلما كشفت عن الاحساس الاول المبكر لحالة الذنب والرغبة المتأصلة في نيل حب الاب وحمايته، واخيراً الرغبة في الخلود. كما ان الشعور بالذنب هو ناتج عن الخطيئة الاولى التي ارتكبها الابناء بحق الاب القتيل، وهذا الذنب يستوجب فداء واضحية ويستدعي تكفيراً لا يتم ولا يتحقق الغفران الا من خلال الدم او الاعطيات التي تنوعت واختلفت بين ديانة واخرى وبين شعب وآخر، لكنها من حيث الاساس شكلت عنصراً جديداً في الظاهرة الدينية، كافياً للكشف عن الخطيئة وضرورة التخلص من ضعفها النفسي، من خلال الثقافة الدينية ومكوناتها الأساسية المعروفة وهي العقائد، والطقوس، الشعائر، التبادل الاتصالي الروحي بين الفرد والاله والمعبود عبر مكانه المقدس، او بين الجماعة والسلطة الدينية الحياتية، هذه الثقافة والمزاولات هي التي اضفت على ما ذكرنا صفة القداسة وانسحبت من محيط المزاولة الحياتية الخارجية إلى مجال المكان المعبد / المقدس والذي اضفى عليها خاصية الديانة التي اتفق الجميع عبر ممارستها على قداستها وقوتها وتحولها إلى فاعل روحي / نفسي / اجتماعي.

وتكرس رأي فرويد في ملاحظات المفكر العفيف الاخضر التي اخذت بالموقف الفرويدي الذي اعتبر العصاب ناتجاً نفسياً للشعائر التي اقيمت منذ اقدم العصور، سواء في السحر ام الديانات البدائية، من رقص طقسي واغتسال شعائري وطهارة وحركات رتيبة. واكد على أن العصاب ناتج ايضاً عن الهلع المقدس بسبب ارتكاب الخطيئة.

الرغبة في الخلود

واكد الاستاذ الاخضر ان نزعة الخلود لدى الانسان منذ فجر الحضارة الانسانية جوهري في بقاء الظاهرة الدينية عبر طقوسها وعقائدها المتنوعة، لان الخلود عزاء مثالي، يستجيب لرغبة عميقة وقديمة كما اكدت على ذلك العلوم التي اهتمت بما قبل التاريخ، واشار العفيف إلى رأي كوبنس المتضمن طقس وعقائد الدفن الاولى، حيث كان الدرس المهم في حياة الانسان هو معرفته دفن موتاه تسهيلاً لرحلتهم إلى عالم آخر ومنذ خمسين الف عام، أي في العصر الاحيائي السحري. وفعلاً اهتمت الديانات الشرقية بحياة ما بعد الموت وصاغت عقائدها وطقوسها في هذا المجال المهم، وصار الخلود مجالاً مركزياً في بعض الديانات، ولعل الديانة المصرية القديمة اكثر الديانات الشرقية اهتماماً بحياة ما بعد الموت، لأنها ادركت وبايمان مطلق ان الميت يستعيد حياته ثانية ويعيشها مثلما كانت قبلاً لذا اتسعت القبور والمدافن للملوك والشخصيات الاجتماعية في مصر حتى تستوعب اهم حاجيات المتوفى ومدخراته التي هو بحاجة إليها في حياته الثانية. واعتبر فرويد هذه العقائد - ما بعد الموت - عزاء وانتظاراً لحياة ثانية واشار إلى نص فرويدي هو: ان نصوصنا المقدسة لم تقر بحاجة الانسان إلى الاطمئنان بان حياته ستتواصل بعد الموت.

..... اريد - الرأي ما زال لفرويد - ان اضع هذا العنصر ضمن العناصر التي جعلت من المستحيل على اليهودية ان تحل محل ديانات العصور القديمة بعد سقوطها، ولم تهتم اليهودية بموضوعة الخلود في الملكوت السماوي مثل الديانة الرومانية التي كانت ضامنة لانتصارات الشعب في حروبه لكنها لم تضمن لكل فرد روماني الخلاص لروحه في حياة ثانية..

وقد اهتمت اساطير كثيرة بموضوعة الخلود، وصارت مركزاً في بعض الديانات وتبدت في نصوص اسطورية وملاحم شهيرة، ولعل ملحمة جلجامش اشهر تلك الملاحم في التاريخ والتي ركزت على ثنائية الحياة والموت. وكان البحث عن الحياة الثانية امراً مهماً وصاغ افكار الانسان العراقي القديم الذي، استطاع مغادرة التخلص من وهم البقاء والحياة الخالدة إلى الأبد، لانها من خصائص الآلهة فقط. وهذا قاد إلى موقف فكري مهم جداً.. اقترح اطاراً ثقافياً لحيازة الخلود عبر العمل والبناء وترك اثاراً دالة على اهمية الانسان. ويمثل هذا تحولاً معرفياً، مهماً وخطراً في حياة الانسان العراقي القديم.ان لعبة الموت والخلود في المعتقدات والاساطير القديمة تلقي اضواء على اشكالية خلود الروح في الميتافيزيقيا الغربية، كما في الديانات التوحيدية. قال مارسي الياد: تفارق الروح الجسد في الاساطير كي تتجه إلى ميلاد جديد، حيث يتحول الانسان كائناً روحياً "نفساً" ويصبح "روحاً"، وقد اكد مارسي الياد في كتابه المهم العود الابدي على ان الاساطير القديمة علمتنا ان كل ما موجود على الارض له انموذجه في السماء، ومن هذه الاساطير استقى افلاطون نظرية المثال الافلاطونية القائلة بان عالم المعقولات البعيد المنال هو انموذج عالم المحسوسات القريب المنال والمتبدل... المحسوسات التي تدركها الحواس، ما هي الا صورة باهتة لنماذجها السماوية التي لا تدركها إلا العقول، الجمال الماثل امامنا، ليس سوى انعكاس باهت لمثال الجمال السماوي والطاولة التي اكتب عليها صورة شاحبة لفكرة الطاولة في عالم المعقولات. واضاف الاستاذ العفيف الاخضر: فلسفة المثل الافلاطونية التي اسست الميتافيزيقيا الغربية وثنائية الجسد والروح، استلهمها افلاطون من معتقدات بلاد الرافدين الاسطورية، حيث جاء في الاساطير السومرية: ما موجود على الارض له مثال في السماء. مثلاً دجلة له انموذجه السماوي.

..... هذه الرغبات التخيلية مسجلة في تاريخ الانسانية النفسي والاجتماعي والتساؤلات التي اكتست صوراً ادبية او ميتافيزيقية سامية ومتسامية، تعود جذورها في جزء مهم منها في الاقل إلى الجزء اللا شعوري في الشخصية الانسانية.

فرويد

اريك فروم

وجهة نظر ومحايثة نصية

(الستون).. اغصان محمد خضير الوارفة

كاظم الجماسي

في لقاء اجراه الشاعر الشهيد (رياض ابراهيم) مع القاص محمد خضير ونشرته جريدة (الجمهورية) البغدادية على حلقات مفتتح عام ١٩٩٦، يعرف خضير كتابة القصة بقوله (كتابة القصة اختيار، انتظار، محاولة، تراسل متصل، لذا فهي اقرب إلى سؤال الوجود البسيط من مداعبته او احراجه باسئلة معقدة.)

وقد شهدت سيرة محمد خضير النصية تحولات عدة منذ ان فازت قصته (البطات البحرية) بمسابقة جريدة (الجمهورية) اواسط الستينيات، ومن ثم تتألف مجاميعه القصصية (المملكة السوداء) و(في درجة ٤٥ مئوي) وكتابه (بصرياثا) وكتابه (الحكاية الجديدة) ثم مجموعته (رؤيا خريف) ونصه الطويل (كراسة كانون) ثم نصوص متفرقة هنا وهناك منها موضوع محايثتنا النصية (الستون) وقد نشرته مجلة (فنارات) البصرية.

لم تكن سيرة محمد خضير النصية بمعزل ابداً عن حاضنتها التاريخية، فهو الستيني القابع في مربضه البصري ذلك المربض الرافد للثقافة العراقية باعمدة وتجارب ابداعية لها الشأن الاساسي في رسم طرائق عدة امام التجريب الستيني في مختلف صنوف الابداع فتوجت (المملكة السوداء) نزعة الستينيين من اترابه في التجريب، اذ توافرت على اشتراطات سردية ناضجة محكومة برؤيا تحمل تفرداً خاصاً من حيث الاسلوبية، وبيان وجهة النظر، وطريقة التناول لغوياً، وفيما بعد شكلت تجربته (في ٤٥ مئوي) تطوراً بدا للوهلة الاولى مختلفاً غير انه ظل متسقاً مع جوهر تجربته في (المملكة السوداء) من حيث الارتقاء بماهية الثيمة اذ غدت هنا متعددة الاتجاهات، فالتاريخ المؤشر مكانياً في اغلب قصص (المملكة) ابعد غوراً كيما يتحد في بنية متوائمة تنصهر بذاتها المؤلفة من نسيج الزمان والمكان ومقارباتهما. ثم تزامن صدور كتابيه (الحكاية الجديدة) و(رؤيا خريف)، سمي الاول سيرة نظرية فيما كان الثاني عبارة عن مجموعة نصوص، ولنقل مجموعة (براهين) كما يحب خضير ان يطلق عليها، وقد امتازت هذه التجربة باخلاصها اولاً لرؤيا متحدة واحدة منذ تجربة (البطات البرية) وصولاً لـ (رؤيا خريف) وما قيل عن الاخيرة من كون مرجعية محمد خضير المعرفية زحفت بشكل جلي على الاشتراطات الفنية لنصه الابداعي فعادت عليه بمردود تدحضه القيمة الفنية العالية التي انطوت عليها تلك النصوص. ان الامر بكل بساطة يتلخص بان الابداع ابن حاضنته التاريخية فهو لا يجد كينونته ولا يؤكدها إلا بتمرده الدائم على السياقات والانماط المتواضع بشأنها، واجتراح انماط وصيغ للنظر إلى الحياة باوفر الفهم واقصى الاستطاعة على تحقيق الكينونة، وفي (رؤيا خريف) تبدو المحاولة اكثر جرأة لخلق عوالم متناغمة بعون من المرجعية المعرفية ذاتها، المعرفية بوصفها المعين في البرهنة على الخلق وليست العكس كما ادعى البعض، وأية عودة لنصوص من مثل (رؤيا البرج) و(صحيفة التساؤلات) و(رؤيا خريف) و(الحكماء الثلاثة) تبرهن على ان التجربة بمجملها دائبة الجريان توافقاً مع جريان نهر الزمن الماضي دائماً إلى الامام.

(الستون).. ظل الجميزة الدائر ابداً

نص سمته الغالبة (الاختزال). موشور يتلقى اشتات من اشعة منثورة في الزمان والمكان ويحيلها متضامنة على سطح النص، نافذة إلى اعماقه عبر فكرة العود الابدي وهي ليست بجديدة في التناول، السعاة (سعاة البريد) هم عقارب الساعة الراكضة للوصول وليس من وصول، ولم يكن اعتباطاً فالساعي يسعى سعياً في الساعة او منها - لغوياً -...

هناك ساعة البرج في (رؤيا البرج) وهناك ماراثون الساعات في (ساعات كالخيول) حيث الساعاتي الهرم الموثوق بوثاق مصيري بمصير ساعته، فلما توقفت رقاصاتها مات هو، الموت هنا ليس وصولاً لنهاية ما كما يمكن ان يذهب الظن، انما هو لحظة ظهيرة في الابدية (الثانية بعد الظهر إلى جانب الجميزة) لحظة سكون مشحون بمخططات اخرى، طوالع متكررة، طبق الاصل لا تفترق عن سابقاتها سوى بالشفافية.

الجميزة معادل الحياة بوصفها شجرة، ودوران ظلها عربة بريد مسرعة، مرت عبر الفياتها اللا نهائية بمنازل عددها اللا نهائي، والكاتب هنا ساعي بريد وكاتب رسائل في الوقت ذاته، يتراسل مع ابي الطيب والمعري وابي تمام واوفيد وشكسبير وموباسان وتولستوي ودوستيفسكي والسياب وعبد الملك نوري والبريكان و... و...، وهو فضلاً عن كل ذلك قارئ ابراج مثله مثلهم فهو صنوهم الحاضر راهناً حيث سيتساءل في النهاية وهو يتصفح عنوان طالعه الاخير عن النهار الذي سيدور فيه ظل الجميزة ليشمله بفيئه الظليل ليبتلع الحوت - الموت اسمه في جوفه الصامت بعد ان كان ذا رنين مثل ما يصدر عن قطعة نقود معدنية مقذوفة فوق طبق القهوجي النحاسي...

محمد خضير

من المكتبة العربية

المسألة الثقافية.. من أجل بناء نظرية في الثقافة

تأليف :زكي ميلاد
المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء ٢٠٠٥

المسألة الثقافية. من أجل بناء نظرية في الثقافة كتاب جديد للكاتب السعودي زكي ميلاد، تعرض فيه للمسألة الثقافية في محورين، الأول مناقشة ما طرحه بعض الكتاب والمفكرين من نظريات لافتة حول فكرة الثقافة وتستحق النظر والاهتمام، كنظرية مالك بن نبي في مشكلة الثقافة، ونظرية علي عزت بيجوفيتش في العلاقة بين الثقافة والحضارة. ونظرية توماس إليوت في العلاقة بين الدين والثقافة. وقد خصص فصلاً في كتابه لكل واحدة من هذه النظريات. من زاوية ثانية، يناقش فكرة الثقافة في إطار علاقاتها وجدلياتها مع بعض الأبعاد الوثيقة الصلة بها، فالعلاقة بين الثقافة والأنثروبولوجيا، وبين الثقافة والسياسة، وبين الثقافة والمجتمع. وفي إطار هذه العلاقات والجدليات يحاول مناقشة بعض الأفكار والمفاهيم والنظريات التي تتصل بها، كل ذلك من أجل تشريح وتفكيك فكرة الثقافة، ومحاولة فهم منطقها الداخلي، وفحص حكمتها وفلسفتها، والتعرف على وظائفها وآرائها حتى تتجلى لنا فكرة الثقافة بصورة واضحة.

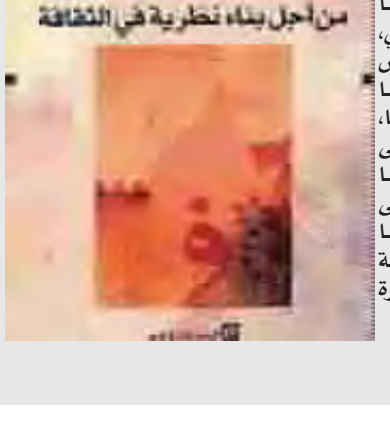

الولايات المتحدة الأميركية والخليج

تأليف: شفيق ناظم الغبرا
دار قرطاس للنشر. الكويت ٢٠٠٥

الدكتور شفيق الغبرا محرر هذا الكتاب رئيس الجامعة الأميركية في الكويت وأستاذ العلوم السياسية، لديه أربعة كتب منها: ؟إسرائيل والعرب؟، ؟الكويت. دراسة في آليات الدولة؟، وعشرات الأبحاث في الشؤون العربية والإسلامية. تضمن الكتاب ؟تقديماً؟ للمحرر وعرضاً لأربعة موضوعات هي : نحن والولايات المتحدة الأميركية للدكتور تركي الحمد، و الثاني عن: الأبعاد الأمنية والعسكرية للعلاقات الخليجية. الأميركية للدكتورة ابتسام الكتبي، والثالث عن: الأبعاد النفطية والاقتصادية في العلاقات الخليجية. الأميركية للدكتور وليد خدوري، أما الرابع فيتناول موضوع الخليج والولايات المتحدة: بيئة ما بعد الحادي عشر من سبتمبر للدكتور شفيق الغبرا.

سوسيولوجيا التراكم الثقافي

تأليف :أحمد شراك
الناشر: المركز الوطني للإبداع الدار البيضاء ٢٠٠٥

الباحث والأديب المغربي أحمد شراك في كتابه ؟سوسيولوجيا التراكم الثقافي؟ الصادر عن ؟المركز الوطني للإبداع المسرحي والسينمائي؟ يقدم دراسة سوسيولوجية لما تراكم من إنتاج ثقافي مغربي، وكان قد أصدر شراك سابقاً ؟الخطاب النسائي في المغرب؟ و؟الثقافة والسياسة؟ و؟مسالك القراءة؟ . وفي كتابه هذا يتناول جوانب مهمة من الحيثيات الاجتماعية التي تحيط بهذا الإنتاج، متفحصاً في متحققاته، مفسراً العلاقات التي تربط الظاهرة الثقافية بالظاهرة السوسيولوجية.

هوية العلامات

تأليف :شعيب حليفي
الناشر: دار الثقافة. الدار البيضاء ٢٠٠٥

عن دار الثقافة بالدار البيضاء صدر كتاب هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل للباحث الدكتور شعيب حليفي، الذي اصدر سابقا ثلاث روايات ؟مساء الشوق؟،و؟زمن الشاوية؟، و؟رائحة الجنة؟، ودراستين نقديتين هما ؟شعرية الرواية الفانتاستيكية؟ و؟الرحلة في الأدب العربي؟. يقول الكاتب عن كتابه: يندرج هذا المؤلف في إطار البحث عن الأداة النقدية لإعادة اكتشاف البناء المرآتي والمعرفي للسرود من خلال تفكيك خطاب العتبات ومقاربة البناء الدلالي، والكتاب الذي جاء في ٢٢٣ صفحة من القطع المتوسط . و قد قسم إلى قسمين، الأول عتبات النص الروائي ودرس فيه استراتيجية العنوان والخطاب المقدماتي والوعي النقدي ووظيفة البداية ومجازفات المعنى،والثاني البناء والتأويل ودرس فيه بناء المتخيل والصورة والمرجع وبنيات العجائبي.